C.Ü. İlahiyat Fakültesi Dergisi
2013, Cilt: XVII, Sayı: 2 Sayfa: 297-326

EBU HAYYAN'A GÖRE CÜMLENİN İRABI VE GRAMER KURALLARININ ANLAMA ETKİSİ -BAKARA SURESİ TEFSİRİ ÖRNEĞİ-

Abdulhalim ABDULLAH*

Özet

Kuran-ı Kerim'in tilavetinde pek çok okuma ve telaffuz hatası yapılmaktadır. Arapça gramerin çıkış noktası da bu hatalara dayanmaktadır. Çünkü Arapça bir irap dilidir, kelime sonundaki hareketler anlamı belirleyici niteliğe sahiptir. Bundan dolayı eski gramerciler kelimelerin irabını önemsediler. Özellikle yeni kelimelerin türetilmesi konusunda zihinsel süreçleri ve anlamın oluşum aşamalarını dikkate aldılar. Arapça gramerindeki kurallar belirlenirken doğru konuşmalardan esinlendiler. Bu dayanak, Arapçada Amil Nazariyesi diye adlandırıldı. Bu nazariyeye dayananlar, mananın kaynağını göz önünde bulundurdular ve cümlelerin yapısını önemsediler. Buna yönelik ilk bilgiler Sübeyh'in (Ölümü 180 H.) "El-Kitab" adlı eserinde yer almaktadır. En eski yorumlar ve cümlenin düzenlemeleri ise, Ferra (Ölümü 207 H.) tarafından yapılmıştır. Bu gelişim asırlar boyunca devam etti ve nihayetinde Hicri 8. Yüzyılda olgunlaştı. Yine bu devirde cümleye özgü yeni yayınlar ortaya çıktı. Örneğin Muradi'nin (Ölümü 749) "Risaletün Fi Cümeli'l-İrab", İbn-i Hişam'ın (Ölümü 761 H.) Muğni'l-Lebid ve Şehabeddin el-Asbahi el-Gunnebi'nin (Ölümü 776 H.) "Kitab-ı'l-Hulal Fi'l-Kelēmi ela'l-Cumel" gibi.

Bu araştırmada cümle irabı konusunda kendisine daha önce başvurulan, ana kaynak niteliğindeki kitaplarda yer alan cümle irabı uygulamalarını esas almaktadır. Bu yüzden Ebu Hayyan en-Nahvi'nin (Ölümü 745 H.) Tefsire'l-Bahri'l Muhit adlı eserindeki örnekler ve açıklamalar doğru kabul edilmiş ve onlara uygun açıklamalarda bulunulmuştur. Ayrıca sunulan örneklerde cümlelerin irabı ve anlama etkisi üzerinde durulmuş ve açıklanması gerekli görülen tüm noktalara ek örneklemeler yapılmasına özen gösterilmiştir.

Bu çalışma, cümlenin irabtaki yerine ve irabın anlam üzerindeki etkisine vurgu yapmasının yanında Ebu Hayyan'nın cümlenin ira-

* Dr., Gaziosmanpaşa Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Öğretim Üyesi.

bına yönelik görüşlerini, Ferra'nın cümle üzerinde gerçekleştirdiği ilk istilahları vb. göstermesi bakımından önemlidir. Ayrıca anlamın cümlenin irabına göre şekillendiğini, yüzyıllardır gramercilerin irab konusuna ilgi gösterdiğini ortaya koymuştur. Ayrıca ayeti kerimelerin doğru anlaşılmasının doğru irab ve kıraat gerektirdiği sonucuna varmıştır. Bu gerçekleştirmek için de Amil Nazariyesine dayanmalı ve semantik açıdan yaklaşarak anlamın yönünün tespit edilmesi gereklidir.

Anahtar Kelimeler: Ebu Hayyan en-Nahvi, cümlenin irabı, irabın değişmesi, gramercinin tercihi ve amil nazariyesi

The reasons of syntax, and the effect of the grammatical profession: Abu Hayyan Through his interpretation of Sura of Albakara as an example

Abstract

The Arabic grammar was established to save the Quranic text of error and slippage, because Arabic is inflective language, and the ending of a word changes according to its grammatical function , so the earlier grammarians concerned about syntax, depending on their mental abstract review to deduce rules, making of grammar the standard for right eloquent pronunciation, and this abstraction established the "active theory" in Arabic grammar. According to this theory, and the straight meaning, Grammarians began to care about "sentence". The first references to the sentence started in the Book of Sibawayh 180 AH, and the oldest mention to the term " sentence" comes with ALfarra 207 AH, and these grammatical signals evolved successively, until they reached the culmination in the eighth Islamic century, when the books concerning the "sentence" began to appear such as: Risala fi irab aljumal of AL- Moradi 749 AH, Ibn Hisham 761 AH, who devoted to this topic the second Part of his book (Mugnee alalbeeb), and the book (Alholal fi alkalam ala aljumal) of Shahabuddin Alasbahi Alannabi 776 AH.

The research aims to monitor the practical side in syntax, in the time when the books mentioned previously were written, for this purpose it chooses "Tafsir albahr almohet " of Abu Hayyan the Grammarian 745 AH, to set the parameters of his attention to syntax, and study the reasons which called him to care of. This research introduces the features of grammarians interest in syntax, and the effect of inflection in the meaning, and finds that Al-Farra was the first one, who used the term "sentence" , contrary to what is prevalent that Almubarred is the first one, who uses the term "sentence".

The research explores many examples showing the interest of grammarians with syntax, because of its importance, since the understanding of the Holy verses could be upon it, and the reader's understanding may differ depending on inflection, and multiple facets of inflection of a Holy verse leads to numerous multi-

faceted meaning. The research also points to the reasons of grammarians interest in the syntax, and concluded that they were because of semantic reasons based on straight meaning.

Key Words: Abu Hayyan. multi-faceted inflection. preference. Active. Reasons of syntax

الملخص

قام النحو العربي لحفظ النص القرآني من الخطأ، ولأن اللغة العربية لغة مُعْرَبَةٌ، فإنّ النحاة الأوائل اهتموا بنَحوِ المفرداتِ، مجرّدين لاستقراء قواعدهم نظرةً عقليةً تجريديةً، جاعلين من النحو معايير للنطق الصحيح الفصيح، وقد أوجد هذا التجريد نظرية العامل في النحو العربي، وبالاستناد إلى هذه النظرية، وبالنظر إلى استقامة المعنى بدؤوا يهتمون بنحو الجملة، وبدأت أولى الإشارات إلى الجملة في كتاب سيبويه 180هـ، وأقدم تصريح بمصطلح الجملة لدى الفراء207هـ، وتطوّرت هذه الإشارات النحوية على تتالي عصور النحو، حتى وصلت إلى حدّ النضج في القرن الثامن الهجري عندما ظهرتْ المؤلفات الخاصة بالجملة كـ: رسالة في جمل الإعراب للمرادي 749هـ، وابن هشام 761هـ الذي قسم لهذا الموضوع البابَ الثانيَ من كتابه (مغني اللبيب)، وكتاب الحلل في الكلام على الجمل لشهاب الدين الأصبحي العنابي 776هـ.

وأراد هذا البحث أن يرصد الجانب التطبيقي لإعراب الجمل في الزمن الذي أُلِّفتْ فيه الكتب المشار إليها سابقًا فاختار لهذه الغاية تفسير البحر المحيط لأبي حيان النحوي 745هـ للوقوف على معالم عنايته بإعراب الجمل ودراسة الدواعي التي دعته للاهتمام بإعرابها. فعرض هذا البحثُ لمعالم اهتمام أبي حيان بإعراب الجمل، وأثرِ الإعراب في المعنى، وتوصلَ البحث إلى أنّ الفرّاء أول من استخدم مصطلح الجملة ونصّ على محلية الجملة، خلافًا لما هو سائدٌ من أنّ المبرد هو أول من استخدم مصطلح الجملة .

ووقف البحث على أمثلة كثيرة تثبتُ اهتمام النحاة بهذا الجانب من النحو، فإعراب الجمل من الأهميَّة بمكانٍ أنه قد يتوقف عليه فهم الآية الكريمة، وقد يختلف فهْمُ القارئِ لها باختلاف إعراب الجمل فيها، وقد تتعدَّد الأوجه الإعرابية في الآية الواحدة ويتعدّد المعنى بتعدُّد الأوجه. ووقفَ البحثُ على دواعي اهتمامه بإعراب الجمل، وخلص إلى أنها داوعٍ صناعية تطلّبتها أصول نظرية العامل، ودواعٍ دلاليَّة تطلّبتها استقامة المعنى.

مفاتيح البحث: أبو حيان النحوي ـ إعراب الجمل ـ تعدد الأوجه النحوية ــ الترجيح الصناعي والعامل ـ دواعي إعراب الجمل

مقدمة

تُعدّ دراسة الجملة ركنًا أساسيًا في دراسة اللغة، ومع ذلك فإنَّ متقدمي النُّحاة لم يُفردوا لها مُصنَّفًا أو بابًا في مُصنَّف من مُصنَّفاتهم حتى وقتٍ متأخرٍ،[1] عندما خصّص بعض علماء النحو للجملة عنوانا خاصّا كالمراديّ 749هـ في رسالة في جمل الإعراب، وابن هشام 761هـ الذي قسم لهذا الموضوع البابَ الثانيَ من كتابه (مغني اللبيب)،[2] وشهاب الدين الأصبحي العنابي 776هـ صاحب كتاب الحلل في الكلام على الجمل. [3]

أمّا المُحْدَثون من اللغويينّ العربِ فقد صنّفوا كثيرا في الجملة العربية، غير أنَّ مُصنَّفاتِهم في الجملةِ العربيةِ على كثرتها توزّعتْ في مَنْحَيَينِ: أحدُهما تعليميٌّ يحرص على ما يخدم إعراب الجمل التي لها محلٌّ والجمل التي لا محلَّ لها، وهذا ما نجده مثلا في كتاب (إعراب الجمل وأشباه الجمل) للدكتور فخر الدين قباوة، وفي كتاب (الجملة النحوية) للدكتور فتحي الدجني، و(الجامع لإعراب جمل القرآن) للدكتور أيمن عبدالرزاق الشوا، والآخرُ تكميليٌّ نقديٌّ، ويتمثل المنحى الثاني لدراسات المحدثين للجملة بإعادة النظر في تقسيم الجملة ومفهومها، وهو دراسة تكميليّة نقديّة تقويميّة لجهود النحاة في هذا الباب، وذلك في ضوء الدرس اللغوي الحديث، وهذا ما نجده مثلا في كتابي الدكتور محمد حماسة عبداللطيف (بناء الجملة العربية) و(العلامة

(1) هذا الحكم لا يعني بأن إعراب الجمل من اختراع متأخري النحاة في القرن الثامن الهجري، بل على العكس من ذلك، فإنّ الإرهاصات والمعالم الأولى كانت في كتاب سيبويه، لكن الاتجاه إلى إفراد الجملة بالتصنيف كان في وقت متأخر، هو القرن الثامن الهجري، والزمن الممتد بين سيبويه 180هـ الذي وردت عنده المعالم الأولى لإعراب الجمل، والمرادي 749هـ ابن هشام761هـ والعنابي 776هـ الذين خصصوا مصنفاتهم المذكورة في نحو الجمل هو خطّ تطور تفكير النحاة في الجملة أقساما وإعرابا ومصطلحا.. وهذا ما صَرّح به المرادي في نهاية رسالة في جمل الإعراب حيث قال: ((وقد تم الكلام على الجمل التي لا محل لها من الإعراب على سبيل الاختصار دون الإكثار، والكلام على هذه الجمل المذكورة مبسوط في موضعه من كتب العربية)). رسالة في إعراب الجمل، الحسن بن قاسم المرادي، تح: سهير محمد خليفة، ط1: 1987م. ص132، وانظر: معالم التفكير في الجملة عند سيبويه، محمد عبدو فلفل، ط1: دار العصماء، دمشق 2009م، ص69

(2) يؤكد هذا الكلام الدكتور فخر الدين قباوة في حديثه عن إعراب الجمل عند متقدّمي النحاة؛ إذ قال: " لقد تعوض بعض القدماء والمحدثين إلى جوانب من إعراب الجمل وأشباه الجمل، ولم يُخلص له واحدٌ منهم كتابا مفصلا، يشفي الغليل، ويوضّح السبيل، وكان ابن هشام رائدا لامعا، في هذه الحركة، حين خصّ الموضوع بعناية فائقةٍ، في كتابه مغني اللبيب، فجمع مادة ضخمة، فتحت بابا لم يكنْ له مثيل.." إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، ط5: دار القلم العربي، حلب 1989م. ص5

(3) يمكن أن نلحظ بعض العنوانات التي تُوهم بأنها في إعراب الجمل، ككتاب (الجمل) المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، بيد أن هذا الكتاب في نحو المفردات لا نحو الجمل، وربما كانت تسميته بـ الجمل للدلالة على معنى (المجمل) في النحو، لا على أنه كتاب في نحو الجملة.

الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث)، كما نجده لدى الدكتور مهدي المخزومي في كتابه (في النحو العربي نقد وتوجيه) وغير ذلك من الدراسات المعنية في الجملة.

والدراسات العربية في الجملة على كثرتها لم تفطنْ إلى دراسة الدواعي للقول بإعراب الجمل لدى النحاة، وغير أنّ القول على إطلاقه يجافي الحقيقة والواقع، ويمكن أن نستثني بعض العنوانات التي أشارتْ إلى هذه الفكرة، ومن هذه الكتب ((معالم التفكير في الجملة عند سيبويه)) للأستاذ الدكتور محمد فلفل.[4]

والبحث ـ الذي بين أيدينا ـ دراسةٌ تطبيقيةٌ[5] تُلقي الضوء على عناية أبي حيان الأندلسيّ 745هـ في ((البحر المحيط)) بإعراب الجملة في تفسيره سورة البقرة، والغرض من ذلك بيان دواعي إعراب الجملة القرآنية عنده، وبيان المعايير والأحكام والدواعي المعنوية والصناعة النحوية المؤثرة في إعراب الجملة من وجهة نظره، وقد وصلتْ هذه الدراسة إلى نتائج جيدة تُذكَرُ في موضعها إن شاء الله، وأمّا اختيار تفسير أبي حيان المسمّى بالبحر المحيط فلسببين: الأول منهما لأنّ أبا حيان من أشهر المفسّرين النحويين، [6] ولِمَا يُشهَد له من براعةٍ ودقّةٍ في جمع المادة النحوية وعرضها، والسببُ الآخر لأنّ هذا التفسير مُزامِنٌ للكتب النحوية التي أُفرِدتْ لنحو الجمل، ولذلك فإنّ الغرض من هذه الدراسة تبيان الوجه التطبيقي لتعاطي النحاة مع إعراب الجمل ودواعيه.

وقد بدأتْ هذه الدراسةُ بالحديث عن معالم اهتمام أبي حيّان بإعراب الجمل، وعرضتْ لنصوصٍ توضّح هذا الاهتمام، ثم انتقلتْ للحديث عن دواعي اهتمام أبي حيّان بإعراب الجمل، ثم تحدّثتْ عن أثر الصناعة النحوية في توجيهه لإعراب الجمل، ثم أثر المعنى في توجيهه لإعراب الجمل، وختم البحث بخاتمة مناسبة وُضعتْ فيها النتائج التي توصلَ إليها البحث.

واعتمد البحثُ في البحر المحيط على النسخة التي حققها عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، وجعلَها الأصل الذي يُحيلُ إليه، فإنْ أُحِيلَ إلى غيرها ـ لضرورات المقابلة ـ خُصِّصت تلك الإحالة.

---

(4) انظر: معالم التفكير في الجملة عند سيبويه، ص84

(5) قام الباحث بنشر غير دراسة نظرية تتبع التطور التاريخي لبعض قضايا الجملة العربية منها: تطور تفكير النحاة في الجملة الخبرية، عبدالحليم عبدالله، İlahiyat Fakültesi Dergisi Tokat 2014|1 والخلاف في أقسام الجملة بين النحاة واللغويين العرب، İlahiyat Fakültesi Dergisi Tokat 2014|1، ومعالم الجملة النحوية عند ابن السراج، منشورة في مجمع اللغة العربية بدمشق، 2010م، والجملة بين الإسناد والاستقلال الدلالي، منشورة في مجمع اللغة العربية بدمشق،2012م وإعراب الجمل عند المبرد285هـ الجمل ذوات المحل نموذجا، في مجلة بحوث جامعة البعث 2011م

(6) وربما يدلّ شهرته في هذا الباب لقبه الذي غلب على اسمه فصار يعرف بأبي حيان النحوي، ومن المفسرين الذين اشتهروا غلب عليهم النحو: الزمخشري، ولكن الزمخشري أسبق من أبي حيان للكتب التي أُفرِدتْ لنحو الجمل، والتي ذُكرت في المتن، فكان من المنطقي أن يكون مقدَّمًا على الزمخشري لهذا السبب.

وكلي أملٌ في هذا البحث أنْ ألفتَ أنظار الباحثين إلى الخوض في لجج هذا الموضوع القديم الجديد؛ ليُعطى ما يستحقّ من الدّرس والبحث.. والله ولي التوفيق.

1. المُدخَل

الإعراب أصل في الاسم المفرد، وهو فرع في الجملة، لأنَّ الأصل في الجملة ألا يكونَ لها محلٌّ من الإعراب، لكنَّ دواعيَ دعتِ النحاة لأنْ يقولوا بإعراب الجمل، وتمثّلت بدواعٍ صناعية، وأخرى دلالية.(7)

ولا يخفى على أحدٍ أنَّ النحو قام على فكرة العامل التي شاعتْ في كتاب سيبويه ابتداءً، وفي كتب النحو العربي عموما مِنْ بعدُ، فالعاملُ هو الذي يُحدِث الإعراب من رفعٍ وجرٍّ ونصبٍ وجزم (8) وهذا ما عُرِف فيما بعد باسم نظرية العامل، وتقوم نظرية العامل على ثلاثة أركان هي: العامل، والعمل، والمعمول.

ويجدر بالبحث في هذا المدخل أن يبيّن حدود مصطلحات البحث، وهي: الجملة، وأركان نظرية العامل (العمل والعامل والمعمول)، غير أن الحديث في الجملة ذو شجون، ويمكن أن يقال فيها الكثير، وليس الهدف في هذا البحث الوقوف على اختلاف النحاة في التعريف والأقسام، وإنما رصد معالم اهتمام أبي حيّان النحوي بإعراب الجمل في تفسيره، وليس يعنينا هاهنا منهجه، لأن البحث لن يستقصي التفسير بأكمله وإنما سيقتصر على تفسير سورة البقرة فقط.

الجملة لغة:

"الجملة واحدة الجمل والجملة جماعة الشيء، وأجملَ الشيءَ جمعَه عن تفرقَةٍ، وأجملَ له الحسابَ كذلك، والجملةُ جماعةُ كلِّ شيءٍ بكماله من الحسابِ وغيره، يقال: أجملتُ له الحسابَ والكلامَ، قال الله تعالى:(9) (لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً)"(10)

(7) انظر: معالم التفكير في الجملة عند سيبويه، ص84

(8) يرى غير واحد من الدارسين أن انشغال النحاة عن دراسة الجملة ناجم عن انشغالهم بنظرية العامل وأركانها المتمثلة في الأصل بالمفردات من اللغة، وليس بالتراكيب. انظر مثلاً: العلامة الإعرابية، محمد حماسة عبد اللطيف، ط: دار غريب، القاهرة 2001م، ص181 والجملة الشرطية عند النحاة العرب، إبراهيم شمسان، ط:1 مصر1401 هـ 1981م،، ص18-19 وفي النحو العربي: نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ط1: الكتبة العصرية، بيروت 1964م، ص33 – 34 ومناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، عطا محمد موسى، ط1 عمان 2002م، ص 157، والجملة والمحل الإعرابي، لنعمية جبيلي – رسالة دبلوم – جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط 1995 – 1996م ، ص53 و80 و142، ومعالم التفكير في الجملة، ص66

(9) الفرقان الآية 32 وتمامها ((وقَالَ الَّذينَ كَفَروا لَولا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذَلِك لِنُثَبِّت بِهِ فُؤادَكَ ورَتَّلْناه تَرتيلاً))

(10) لسان العرب، ابن منظور، ط: لبنان دار صادر، د.ت، مادة جمل

الجملة اصطلاحا:

أمّا الجملة اصطلاحًا فقد تعددت حدودها على مر العصور، وقد جمع ريس (Ries) عام 1931م ما لا يقل عن ثلاثمئة وثلاثين تعريفا مختلفا لمصطلح الجملة، وذلك لأن مفهوم الجملة من أعقد المفاهيم اللغوية تصوّرا، والسبب في صعوبة تحديد مفهوم الجملة عندهم راجع كما يرى د. (فيكتور خراكوفسكي) إلى أن الجملة "عبارةٌ عن تكوينٍ معقَّدٍ متعدَّد المستويات وبالإمكان دراسته من مواقع متباينة ومنظورات مختلفة"(11)

ويذهب بعض المعنيين بالبحث النحوي إلى أن أول من استخدم مصطلح الجملة هو المبرّد 285هـ،(12) والذي ثبت بالبحث أن المبرّد مسبوقٌ إلى ذلك، ولعل الفرّاء 207هـ سبقه باستخدامه للجملة بالمعنى الاصطلاحي، خلافًا لما هو متداولٌ بين النحاة،(13) يقول: "وقوله: (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ) (14) يبيّن لهم إذا نظروا (كَمْ أَهْلَكْنَا)، و(كم) في موضع نصب لا يكون غيره. ومثله في الكلام: أو لم يبيّن لك مَن يعمل خيرا يُجْزَ بِه، فجملة الكلام فيهَا معنى رفع. ومثله أن تقول: قد تبيّن لي أقام عبدالله أم زيد، في الاستفهام معنى رفع. وكذلك قوله: (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُم صَامِتُون)(15) فيه شيء يَرفع (سَوَاءٌ عليكم)، لا يظهر مع الاستفهام. ولو قلت: سواءٌ عليكم صمتُكم ودعاؤُكم تبيّن الرّفع(16) الذي في الجملة." (17) فالجملة التي قصدها الفرّاء وتبين له فيها الرفع هي الجملة الاصطلاحية التي اتفق عليها النحاة فيما بعد لا المعنى اللغوي الجملة الذي يدلّ على جماعة الشيء.

وأما النصّ على المعنى الاصطلاحي للجملة فلم يظهر إلا لدى متأخري النحاة، كالرضيّ الأستراباذي 686هـ ومن جاء بعده، قال الرضي: "والفرق بين الجملة والكلام أنّ الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل فيخرج المصدر، وأسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أسندت إليه. والكلام ما تضمن الإسناد

(11) دراسات في علم النحو العام والنحو العربي، خراكوفسكي، تر: جعفر دك الباب، ط1: مؤسسة الوحدة 1982م. ص1

(12) انظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نحلة، ط:1 بيروت 1988م، ص19

(13) انظر: تطور تفكير النحاة في الجملة من سيبويه إلى ابن هشام، عبدالحليم عبدالله، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة البعث، حمص، 2011م، ص20 و21 و42 و88 و89

(14) الآية (أَفَلَم يهدِ لَهُم كم أَهلَكْنَا قَبْلَهم مِن الْقُرون يَمْشُونَ فِي مساكِنِهِم إِنَّ فِي ذَلك لآياتٍ لأُولِي النُّهى) طه الآية 128

(15) الأعراف الآية 193

(16) لنا أن نفهم مصطلح (الرفع) الذي ذكره الفراء في هذا الموضع بأحد شكلين: إما أن يكون الرفع للمفرد (سواءٌ) لأنه خبر مقدم أو مبتدأ، والمقصود بالجملة المبتدأ والخبر، وإما أن يكون الرفع هو محل الجملة الفعلية (أدعوتموهم) لأنها مبتدأ خبره مقدم هو (سواء) على قول من قال بوقوع الجملة مبتدأ، ويكون المقصود بالجملة الجملة الفعلية التي وقعت مبتدأ، و يكون الفراء بذلك أول النحاة القائلين بمحلية الجملة.

(17) معاني القرآن، الفراء، ط3: بيروت عالم الكتب 1983م. 2: 195

الأصليّ، وكان مقصوداً لذاته، فكلّ كلام جملة ولا ينعكس"[18]. فالكلام عنده هو التركيب المتضمن إسنادا أصليا مقصودا لذاته، له استقلال بنفسه، مؤدٍ معنى مفيدا يحسن السكوت عليه، والكلام أخص من الجملة، فكل ما سمي كلامًا كان جملة أو أكثر، أما العكس فلا يصدق.

وذهب ابن هشام في مغني اللبّيب مذهب الأستراباذي ففرّق بين الكلام والجملة، وجعل الكلام ما كان مفيدا بالقصد، والجملة ما قام على الإسناد الأصلي. يقول: "الكلام هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه،[19] والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ قام زيد، والمبتدأ وخبره كـ زيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: ضُرب اللص، وأقائم الزيدان؟ وكان زيد قائما وظننته قائما، وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصل فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال: ويسمى جملة، والصواب أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط جملة الجواب جملة الصلة وكل ذلك ليس مفيدا فليس بكلام" [20] فالكلام أخص من الجملة إذ شرطه الإفادة والإسناد الأصلي، والجملة أعم إذ شرطها الإسناد الأصلي فقط.

كتعريفات الشريف الجرجاني (ت: 816هـ) الذي عرف الجملة في كتابه بأنها "الجملة عبارة عن مركب من كلمتين، أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك: زيد قائم، أو لم يفد كقولك: إنْ يكرمني، فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه، فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقا" [21]

وقد عرفتِ الجملةُ العربية اهتماما كبيرا لدى الباحثين المحدثين، ومن هؤلاء:

عبده الراجحي الذي نقل عن النحاة القدامى تعريفهم للجملة. قال: " الجملة في تعريف النحاة: هي الكلام الذي تركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل.[22]

وساوى عباس حسن بين الكلام والجملة. قال: " الكلام أو الجملة: هو ما تركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل". [23]

---

(18) شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، ط2: جامعة قاريونس، بنغازي 1996م. 1: 33

(19) وعرف ابن هشام الكلام من قبل في شرح قطر الندى بقوله: الكلام لفظ مفيد. ص56 وفي أوضح المسالك بقوله: الكلام في اصطلاح النحويين عبارة عما اجتمع فيه أمران: اللفظ والإفادة. 1: 11 ولكن ابن هشام في الشذور اشترط مع الإفادة القصد. بقوله: الكلام قولٌ مفيدٌ مقصود. شذور الذهب، ص27 وهذا يبين تطور آراء ابن هشام النحوية بين شرح قطر الندى ومغني اللبيب. انظر: تطور الآراء النحوية عند ابن هشام الأنصاري، حسن موسى الشاعر، ط1: عمان دار البشير 1994م، ص15-16

(20) مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تح: مازن المبارك وعلي حمد الله، ط: دار الفكر، بيروت، ص490

(21) التعريفات، الشريف الجرجاني علي بن محمد، تح: إبراهيم الأبياري ط1: دار الكتاب العربي، بيروت 1405هـ ص106

(22) في التطبيق النحوي والصرفي، عبده الراجحي، ط: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1992م، ص77

ورأى ريمون طحان أنّ الجملة "تركيب يتألف من ثلاثة عناصر أساسية: المسند والمسند إليه والإسناد"(24)

وعرّفها مهدي المخزومي بأنها "الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات"(25)

ورأى تمام حسان أن الجملة هي وحدة الكلام، وأن الأصل في الجملة الإفادة، فإذا لم تتحقق الإفادة، فلا جملة، وتتحقق الإفادة بالقرائن حين يؤمن اللبس.(26)

وحدد علي أبو المكارم تعريف الجملة بأنَّها: "نظامٌ من العناصر اللغوية المؤلفة لتؤدي معنى مفيدا في الموقف أو السياق"،(27) مخرجا منها ما لا يستقلُّ من التراكيب بالفائدة إلى دائرة (التركيب الإسنادي).(28)

وعرّفها إبراهيم أنيس بأنها " أقل قدر ممكن من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"(29)

وعرّفها خليل عمايرة " أنها الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه"(30)

العامل: لغةً: اسم فاعل من عمل "وعَمِلَ فلانٌ العملَ يعملُه عَملاً فهو عاملٌ"(31) "وهو من يعمل على الدوام وإن قلَّ"(32)

واصطلاحًا: "والعامل في اصطلاح النحويين: ما أوجب كون آخر الكلمة مرفوعًا أو منصوبًا أو مجرورًا أو ساكنًا"(33)

العمل: ويُسمّى الإعرابَ أيضًا، وهو الأثرُ الحاصلُ بتأثير العامل، من رفعٍ أو نصبٍ أو خفض أو جزم،(34) ويظهر العمل في ثلاثة أشكال: الحركة أو الحرف أو الحذف.(35)

---

(23) النحو الوافي، عباس حسن ط: دار المعارف، القاهرة. 1: 15

(24) الألسنية العربية، ريمون طحان ط: دار الكتاب، بيروت1981م 2: 54

(25) في النحو العربي، نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ط1: الكتبة العصرية، بيروت 1964م ، ص31

(26) انظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ط: مطبعة الرسالة، القاهرة 1955م، ص195

(27) مقومات الجملة العربية، علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م، ص 105.

(28) انظر: مقومات الجملة العربية، ص152.

(29) من أسرار العربية، إبراهيم أنيس، ط: مطبعة البيان العربية، القاهرة. ص131

(30) في نحو اللغة وتراكيبها، خليل عمايرة ص170

(31) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (370هـ)، ط: الدار المصرية للكتاب 1964م. 2: 421 مادة عمل.

(32) العوامل المئة النحوية في أصول علم العربية: عبد القاهر الجرجاني، شرح الأزهري، تح: البدراوي زهران، ط2: دار المعارف. ص73

(33) العوامل المئة، ص73 وانظر: التعريفات، ص189 والنحو الوافي: عباس حسن، ط3: دار المعارف، مصر. 1:73 و441

(34) جامع الدروس العربية 3: 275-276

المعمول: هو ما يَتغيَّرُ آخرُهُ برفعٍ، أو نصبٍ، أو جزمٍ، أو خفضٍ بتأثير العامل فيه، والمعمولاتُ على ضربين: معمولٍ بالأصالة، ومعمولٍ بالتَّبعيّة.(36)

ومِنْ أصول نظرية العامل أنَّ "الأصل في العمل الفعلُ"(37) وأصل الحروف ألّا تعملَ رفعا ولا نصبا؛ لأنهما من عمل الأفعال، فإذا عَمِلَهُمَا الحرفُ فذلك لشبهه بالفعل، ولا يعمل عملا ليس له حق الشبه إلا عمل الجرّ، إذا كان مضيفا للفعل. "قال الصغاني: تركيب الفعل يدل على إحداث شيء من العمل وغيره فهذا يدل على أن الفعل أعم من العمل والعمل أصل في الأفعال وفرع في الأسماء والحروف".(38)

ورأى النحاة أنَّ العامل على اختلافه نوعان: عامل لفظي، وعامل معنوي، فالعامل اللفظي منسوب إلى اللفظ ويكون للسان نصيبٌ فيه، والعامل المعنوي منسوبٌ إلى المعنى، وهو ما لا يكون للسان حظّ فيه، أي مجردٌ عن العوامل اللفظية، قال ابن جني: "وإنَّما قال النحويّون: عامل لفظيّ وعامل معنويّ، ليُرُوك أنَّ بعض العمل يأتي مسبّبًا عن لفظٍ يصحبه، ك: مررتُ بزيد، وليت عمرًا قائمٌ، وبعضه يأتي عاريًا من مصاحبة لفظ يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم هذا ظاهر الأمر" (39) فالعامل اللفظي ما يُعرف بالقلب، وتَلفُّظٍ باللسان، وأما العامل المعنوي فيُعرف بالقلب، ولا يُلفظ باللسان.(40)

والعامل اللفظي نوعان أيضًا: عامل سماعي، وعامل قياسي، وأكثر العوامل اللفظية عوامل سماعية. قال عبدالقاهر الجرجاني: "والعوامل السماعية: هي ما سمعت عن العرب، ولا يقاس عليها غيرها كحروف الجرّ والحروف المشبهة بالفعل... والعوامل القياسية: هي ما سمعت عن العرب ويقاس عليها غيرها كجرّ المضاف للمضاف إليه في: (غلام زيدٍ) فإنها قاعدة كلية فيقاس عليها: ثوب بكرٍ، ودار عمرٍو"(41)

والعامل المعنوي: هو ما كان مجرَّدًا عن لفظٍ يصاحبه ولا يكون للسان فيه حظ وإنما هو معنى يعرف بالقلب(42) والعوامل المعنوية عاملان: الرافع للمبتدأ والخبر،(43) والرافع للفعل المضارع.(44)

---

(35) انظر: العوامل المئة، ص10

(36) انظر: العوامل المئة، ص10 وجامع الدروس العربية 3: 274-275

(37) الكليات، ص125

(38) الكليات، ص 975-976

(39) الخصائص، 1: 109

(40) انظر: العوامل المئة، ص84 وتسليط العامل، ص30

(41) العوامل المئة، ص 85 وانظر: التعريفات، ص189 وانظر: النحو الوافي، 1: 441 وتسليط العامل، ص32

(42) انظر: العوامل المئة، ص 85

(43) العامل في المبتدأ والخبر عامل مُختلَف فيه، فمنهم من ذهب إلى أن العامل فيهما تجردهما للإسناد، وهو عامل معنوي، ومنهم من ذهب إلى أنّ رافع المبتدأ عامل معنوي، ورافع الخبر عامل لفظي، وهو المبتدأ، ومنهم من ذهب إلى أن المبتدأ والخبر ترافعا، فالعامل فيهما لفظي. انظر: العوامل المئة، ص312

ومن أصول نظرية العامل أن يتقدم العاملُ ليتسلطَ على معموله، لأنّه المؤثر، فله القوة والفضل، فإنْ تأخرَ عنه ضَعُفَ، وجاز إلغاؤه، وحقُّ المعمولِ التأخيرُ؛ لأنه محلٌّ لتأثير العامل فيه، وداخل تحت حكمه، وقد يُعكَس للتوسعِ في الكلام.(45) وعبَّر سيبويه عن هذا الأصل بمصطلح البناء أحيانا، فالخبر عنده هو المبنيّ على المبتدأ، إذ قال: "(أنا) لا يكون كلاما حتى يُبنى عليه شيء"(46) واستخدام سيبويه مصطلح المبني على المبتدأ مظهر من مظاهر قوله بنظرية العامل في النحو(47) ويشير بشكل واضح إلى أنَّ العامل متقدّم على معموله؛ لأنَّ البناء لا يكون إلا على متقدِّم.

ومن الأصول الراسخة أنْ (لا عمل بلا عامل)، فإنْ حدث عملٌ ولم يكن ثمة عاملٌ قُدِّرَ العاملُ، ومن ذلك قول سيبويه في (باب ما يَنْتصب على إضمار الفعل المتروك إظهارُه استغناءً عنه) قال: "هذا باب ما جرى منه على الأمر والتحذير وذلك قولك إذا كنتَ تحذِّرُ إيّاكَ كأنك قلت: إيّاك نَحِّ وإيّاك باعِدْ وإيّاك اتّقِ، وما أشبه ذا، ومن ذلك أن تقول: نفسك يا فلانُ، أي: اتّقِ نفسك، إلاَّ أنّ هذا لا يجوز فيه إظهارُ ما أضمرتَ ولكن ذكرتُه لأُمثِّل لك مالا يُظهَر إضمارُه"(48) فالعامل موجود، وإن لم يوجد في اللفظ، لأنه مقدّر، والمقدَّر كالمذكور.

ومثل ذلك في النداء، إذ قدَّرَ النحاة فعلاً ينصب المنادى. قال سيبويه: "اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع، وهو في موضع اسم منصوب"(49) فالمنادى معمول، وعامله فعل مقدَّر على قول سيبويه، وأغلب النحاة. (50)

---

(44) العوامل المئة، ص9 والحقيقة أن عامل الرفع الفعل المضارع ليس مجمعًا عليه عند النحاة على أنه عامل معنوي، وفي عامل الرفع في المضارع أربعة أقوال:

1. قول الفراء وغيره من حذّاق الكوفيين والأخفش من البصريين، وهو اختيار ابن مالك، وحاصله: أن رافع المضارع هو تجرده من الناصب والجازم.
2. قول جمهور البصريين إلا الأخفش والزجاج، وحاصله: أن رافع المضارع هو حلوله محل الاسم.
3. قول ثعلب والزجاج، وحاصله: أن رافع المضارع هو مضارعته . أي: مشابهته . للاسم.
4. قول الكسائي، وحاصله أن الذي اقتضى رفع المضارع هو حروف المضارعة. انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، المسألة (74)، ص550-555

(45) انظر: الكليات، ص 617

(46) الكتاب 3: 83

(47) انظر: معالم التفكير في الجملة عند سيبويه، ص15

(48) الكتاب 1: 273 وانظر: 1: 282 و290 و292 و318 و328 و335 و336 و348 و355 و2: 182

(49) الكتاب 2: 182

ومن الأصول أنه يكره الفصل بين العامل والمعمول، وخصوصا إذا كان العامل غير متصرف.[51] قال سيبويه: "هذا باب الحروف التي لا تقدم فيها الأسماء الفعل فمن تلك الحروف: الحروف العوامل في الأفعال الناصبة ألا ترى أنك لا تقول: جئتك كي زيدٌ يقول ذاك، ولا خفت أن زيدٌ يقول ذاك، فلا يجوز أن تفصل بين الفعل والعامل فيه بالاسم، كما لا يجوز أن تفصل بين الاسم، وبين إن وأخواتها بفعل"[52] وذلك لأن العامل غير متصرّف كالفعل، فالأحرف فرع في العمل على الأفعال.

ومن أصول نظرية العامل ألّا يدخلَ عامل على عامل، فيتسلطا على معمول واحد، إذ لا يصحّ أن يكون للمعمول الواحد عاملان.[53] وقد عبّر سيبويه عن ذلك في معرض حديثه عن التنازع. إذ قال: "قولك: ضربت وضربني زيدٌ، وضربني وضربت زيدًا، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه، فالعامل في اللفظ أحد الفعلين، وأما في المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لا يعمل في اسم واحد نصب ورفع". [54] فـ (زيد) معمول في المعنى لعاملين، لكنه في اللفظ معمول لعامل واحد هو الفعل الذي يليه، أما أن يكون معمولا للعاملين فمحال.

وهنا وجد أئمة النحاة أنفسهم أمام جملٍ وقعت موقع المفرد فعمل فيها عامل، كالنص السابق لسيبويه، وبالاستناد إلى مثل هذا النص ذهب أحد المعنيين بالبحث النحوي إلى أنَّ سيبويه ساهم عمليًا في إرساء أصل الأصول في إعراب الجمل. إذ قال: "واللافت في كلام سيبويه على قوله تعالى: (مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ)[55] نَصُّه: على أن الأصل أن يكون الفعل لا الجملة معمولاً لأداة

(50) ذكر الفارسي في حديثه عن ائتلاف الكلم بعضه ببعض أن الحرف لا يأتلف مع الاسم فيكون كلاما إلا في النداء. انظر: الإيضاح العضدي1: 9 وقد سبق الحديث عن هذه القضية وآراء النحاة فيها في الباب الأول.

(51) وإن كان العامل متصرفا لم يجز أن يفصل بينه وبين معموله بما ليس منه. قال المبرد: "وإنما يكره الفصل بين العامل والمعمول فيه بما ليس منه. نحو قولك: كانت زيدًا الحمى تأخذ. فتنصب زيدًا بـ تأخذ، وتأخذ خبر كان، وتفصل بزيد بين اسم كان وخبرها وليس زيد لها باسم ولا خبر. فهذا الذي لا يجوز. أو يكون العامل غير متصرف فلا يجري مجرى الفعل" المقتضب 4: 156

(52) الكتاب 3: 110

(53) انظر: الأصول في النحو 1: 215 واللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، ط: دار المعارف، مصر1966م. ص186-187 و تسليط العامل وأثره في الدرس النحوي، السيد أحمد علي محمد، ط1: دار الثقافة العربية، القاهرة 1991م، ص22

(54) الكتاب: 1: 73

(55) سورة الأعراف الآية 186

الشرط الجازمة،[56] ونصُّ سيبويه على ذلك يؤنس بأمرين اثنين، يؤنس بفكرة أن الأصل في المعمول أن يكون مفردًا، كما يؤنس بأن صاحب الكتاب ساهم عمليًا في إرساء أصل الأصول التي أقام عليه النحاة [57] ـ فيما بعد ما يُعرَف بإعراب الجمل، وهو أن الإعراب أصل في المفرد والجملة فرع عليه في ذلك، وأصل الجملة ألا يكون لها موضع من الإعراب، وإذا كان لها موضع من الإعراب تقدَّرت بالمفرد"[58]

وبعد هذا الاستعراض الموجز لبعض أصول نظرية العامل، يجد القارئ أن نظرية العامل هيمنة على ذهنية النحاة منذ بدايات التصنيف بالنحو (سيبويه وأستاذه الخليل) [59] وهذه الذهنية هي التي بدأت تبحث منذ وقت مبكر عن معمول وقع جملة لا مفردا وتصرّح بمحلها، ولعل المعنيَّ بالبحث النحوي يجد النصّ الصريح على محلية الجملة، فإذا كان نص سيبويه على محلية الجملة غامضًا يحتاج إلى فضل نظر وتفسير، فإن التصريح بمحليتها عند لاحقه الفرّاء نصّ صريح، قال: " وقوله: (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا) [60] (كَمْ) في موضع رفع بـ (يَهْدِ) كأنك قلت: أوَلم تهدهم القرون الهالكة. وفي قراءة عبدالله في سورة طه (أَوَلَمْ يَهد لهم مَنْ أهلكنا) وقد يكون (كَم) في موضع نصب بـ أَهلكنا وفيه تأويل الرفع فيكون بمنزلة قولك: سواءٌ عَلي أزيداً ضربت أم عمراً، فترفع (سواء) بالتأويل. وتقول: قد تبيّن لي أقام زيد أم عمرو، فتكون الجملة مرفوعة في المعنى؛[61] كأنك قلت: تبيَّن لي ذاك". [62] فالفرّاء في النص السابق استخدم (الجملة) استخداما اصطلاحيا،

---

(56) نصُّ سيبويه الذي علّق عليه د. محمد فلفل هو "وقد بلغنا أن بعض القراء قرأ: (مَنْ يضللِ الله فلا هاديَ له ويذرهم في طغيانهم يعمهونَ) وذلك لأنه حمل الفعل على موضع الكلام لأن هذا الكلام في موضع يكون جوابًا لأن أصل الجزاء الفعل وفيه تعمل حروف الجزاء ولكنهم قد يضعون في موضع الجزاء غيره" 3: 90-91

(57) انظر: الأصول في النحو 2: 62 وشرح الرضي على الكافية 2: 298، ورسالة في جمل الإعراب، ص61، ومغني اللبيب، ص 427، والحلل في الكلام على الجمل، ص 37، وإعراب الجمل وأشباه الجمل، ص 29-31، والجمل المختلف في إعرابها، ص33.

(58) معالم التفكير في الجملة عند سيبويه، ص88

(59) تعالت أصوات تطالب بإلغاء نظرية العامل، من أمثال ابن المضاء القرطبي الذي صنّف كتابا في الرد على النحاة وتقويض نظرية العامل، والبحث في هذه النقطة ليس بصدد الانتصار لنظرية العامل، أو الانتصار عليها، ولكنه توصيف حيادي، يحاول التفسير فقط.

(60) الآية (أَوَلَمْ يهدِ لَهُم كم أَهلَكْنا مِن قَبلِهِم مِن الْقُرونِ يَمْشُونَ فِي مساكِنِهِم إِنَّ فِي ذَلك لَآياتٍ أَفَلَا يسمعُونَ) السجدة الآية 26

(61) إذا كان النص السابق للفراء يقبل التأويل بأحد تأويلين، فهذا النص واضح لا يقبل التأويل، لأنه ينص صراحة على أن محل الجملة رفع لأن محلها فاعل، والتمثيل يبين ذلك. (وتقول: قد تبين لي أقام زيد أم عمرو، فتكون الجملة مرفوعة في المعنى، كأنك قلت: تبيَّن لي ذاك) فـ (ذاك) التي وقعت الجملة موقعها هي فاعل، والجملة كذلك، وهذا على رأي من قال بوقوع الجملة فاعلا، لأن جملتي المبتدأ والفاعل موضع خلاف بين النحاة.

(62) معاني القرآن 2: 333

ونصَّ على أن جملة (أقام زيد أم عمرو) في مرفوعة في المعنى؛ لأنها وقعت موقع الفاعل، ويدلّ على ذلك تأويلها لها بمفرد وقع فاعلا، في قوله: تبيّن لي ذاك.

أما الدواعي الدلالية فتتمثل بالحرص على توضيح المعنى المراد بالتركيب اللغوي، وهذا الجانب الذي نسميه (المعنى الذي يخدم الإعراب)، إذًا فالدواعي الصناعية والدواعي الدلالية أساسان يقف عليهما إعراب الجمل لدى النحاة، والحقيقة التي يدركها المعني بالبحث النحوي عند العرب أن طرفي المعادلة في هذا البحث هما معنى التركيب، والضوابط الصناعية التي تنظم هذا التركيب، ولعل من الصواب أن هذين الطرفين وإن ظهرا متكاملين متساندين يستدعي أحدهما الآخر عند النحاة؛ لا يندر أن يظهرا متعاندين تعانداً يفضي إلى ترجيح كفة هذا الطرف أو ذاك بين الفينة والأخرى.[63]

2. معالم الاهتمام بإعراب الجملة

يجد القارئ في تفسير أبي حَيَّانَ اهتمامًا بالغًا في إعراب الجمل، فقلَّما يمرُّ أبو حَيَّانَ بعلاقة إسناديَّة دُوْنَ أنْ يُشِيرَ إلى أنَّ هذه العلَّاقةَ جملةٌ، وأنَّ محلها من الإعراب كذا وكذا، أو أنَّها ليستْ بذاتِ محلٍّ مع بيانِهِ نوعَها، وربَّما توقَّفَ عندَ الجملةِ الواحدةِ وقفةً مطوَّلةً يقلِّبُها على كلِّ وجهٍ محتملٍ، ويستعرِضُ فيها أقوالَ النُّحاةِ، فيُثَمِّنُ وجهًا ويُضعِّف آخرَ، ويقفُ عندَ الوجهِ الذي ضَعَّفَه، ليدلِّلَ على ضعفه، وهذا كله يبرزُ اهتمامَ الرَّجلِ بإعرابِ الجملِ، ومِنْ ذلكَ وقوفُه عندَ قولِه تعالى: (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[64] قال: " أي: (منقادون) لما ذكر الجواب بالفعل الذي هو (نعبد) لأنّ العبادة متجدّدة دائمًا ذَكَرَ هذه الجملةَ الاسميةَ المُخبَرَ عن المبتدأ فيها باسمِ الفاعلِ الدّالِ على الثُّبوت؛ لأنَّ الانقيادَ لا ينفكون عنه دائمًا، وعنه تكون العبادة فيكون قوله: (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) أحد جملتي الجواب، فأجابوه بشيئين: أحدهما الذي سأل عنه، والثاني مؤكد لما أجابوا به، فيكون من باب الجواب المربي على السؤال، وأجاز بعضهم أن تكون الجملة حاليَّة من الضمير في نعبد، والأوَّلُ أبلغ، وهو أن تكون الجملة معطوفة على قوله(نَعْبُدُ)، فيكون أحد شقي الجواب، وأجاز الزّمخشريّ أن تكون جملة اعتراضيَّة مُؤكِّدة، أي: ومن حالنا أنا نحن له مسلمون مخلصون التوحيدَ أو مذعنون، والذي ذكره النَّحويّون أن جملة الاعتراض هي الجملة التي تفيد تقوية بين جزأي موصول وصلة نحو قوله:[65]

مَاذَا ـ وَلا عَتَبٌ في المقدورِ ـ رُمتُ؟ إمَّا تخطِّيكَ بالنُّجحِ أَمْ حُسْرٌ وتَضْلِيلُ

(63) معالم التفكير في الجملة عند سيبويه، ص84 و85

(64) سورة البقرة الآية 133 وتمامها (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)

(65) البيت من البحر البسيط، لم يعلَم قائله. انظر: الدرر اللوامع 1: 65 وفيه (أما يكفيك بالنجح)، وانظر: شرح التسهيل 1:

وقال:[66]

ذاكَ الَّذِي ـ وَأَبِيْكَ ـ يَعْرِفُ مَالِكًا وَالحَـــقُّ يَدْفَعُ تُرَّهَاتِ البَاطِلِ

أو بين جزأي إسناد نحو قوله:[67]

وَقَدْ أَدْرَكَتْنِيْ ـ والحَوَادِثُ جَمَّةٌ ـ أَسِنَّــةُ قَوْمٍ لا ضِعَافٌ وَلا عُزْلُ

أو بين فعل شرط وجزائه أو بين قسم وجوابه أو بين منعوت ونعته أو ما أشبه ذلك مما بينهما تلازم مّا وهذه الجملة التي هي قوله (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ليست من هذا الباب؛ لأنّ قبلها كلامًا مستقلاً، وبعدها كلامٌ مستقلٌ، وهو قوله (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) لا يقال إنّ بين المشار إليه وبين الإخبار عنه تلازمًا[68] يصح به أن تكون الجملة معترضة لأن ما قبلها من كلام بني يعقوب حكاه الله عنهم وما بعدها من كلام الله تعالى أخبر عنهم بما أخبر تعالى والجملة الاعتراضية الواقعة بين متلازمين لا تكون إلا من الناطق بالمتلازمين يؤكد بها ويقوي ما تضمن كلامه فتبين بهذا كله أن قوله وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ليس جملة اعتراضية، وقال ابن عطيّة: (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ابتداء وخبر، أي: كذلك كنا، ونحن نكون، ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ في موضع الحال، والعامل (نعبد)، والتأويل الأول أمدح، انتهى كلامه، ويظهر منه أنه جعل الجملة معطوفة على جملة محذوفة، وهي قوله كذلك كنا، ولا حاجة إلى تكلُّفِ هذا الإضمارِ، لأنَّه يصح عطفها على (نعبد إلهك) كما ذكرناه وقررناه قبلُ، ومتى أمكن حمل الكلام على غير إضمار مع صحة المعنى كان أولى من حمله الإضمار"[69] فأبو حيَّانَ في النص السَّابق وقف عند جملة (ونحن له مسلمون)، ونقل ثلاثة أقول فيها: فهي جملة معطوفة على الجملة السَّابقة، أو حاليَّة، أو اعتراضية، والرأي الأخير عن الزّمخشريّ، وهنا توقف أبو حيَّانَ ليبيّن ماهية الجملة الاعتراضية والغرض منها، ويستعرض أمثلة لاعتراضها بين متلازمين، ثم ذكر أن الحال وصاحبها ليسا من المتلازمين كالموصول والصِّلة وكالمسند والمسند إليه، ثم وقف عند ظاهر قول ابن عطية من أنَّ الجملة معطوفة على جملة محذوفة، فوصفه بالتكلّف، لأنّ عطفها على جملة (نعبد إلهك) صحيح، ولذلك فلا حاجة إلى تكلّف هذا الإضمار.

---

(66) البيت من البحر الكامل لجرير، من مقطوعة يخاطب بها يحيى بن عقبة الطهوي والفرزدق، انظر: شرح ديوان جرير، ص 520 وروايته: (تعرف مالك والحق يدمغ) وانظر: شرح شواهد المغني، ص817 وحاشية الأمير على المغني 2: 52، والهمع 1: 88، وشفاء العليل، ص248، والخصائص 1: 336

(67) البيت من البحر الطويل، وهو لرجل من دارم، قيل: جويرية بن زيد، وقيل: جويرية بن بدر. انظر: شرح شواهد المغني، ص807، ولسان العرب مادة: هيم، وفشل، والهمع 1: 248، والخصائص 1: 331-336

(68) في المتن (تلازم) ويبدو أنه تصحيف

(69) تفسير البحر المحيط لأبي حيان، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1: دار الكتب العلّمية – بيروت1993م 1: 575-574

ولعلَّ تفصيل أبي حيَّانَ في إعراب الجمل في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)[70] يشي بمستوى اهتمامه في إعراب الجمل. قال: "والجملة من قوله (وَهُمْ كُفَّارٌ) جملة حاليَّة، وواو الحال في مثل هذه الجملة إثباتها أفصح من حذفها... والجملة من قوله (عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ) خبر (إنَّ) و(لعنةُ) اللهِ مبتدأ، خبره (عليهم)، والجملة من قوله: (عَلَيْهِمْ لَعْنَة الله) خبر عن (أولئك)، والأحسن أن يكون (لعنةُ) فاعلاً بالمجرور قبله لأنه قد اعتمد بكونه لذي خبر، فيرفع ما بعده على الفاعلية فتكون قد أخبرت عن (أولئك) بمفرد بخلاف الإعراب الأول فإنك أخبرت عنه بجمل"[71] فقد قام أبو حيَّانَ في النص السَّابق على قصره النِّسبيّ بالتَّوقُّف عند ثلاث جمل، هي: وهم كفار، وعليهم لعنة الله، وأولئك عليهم لعنة الله، ولم يَفتْه أن يقلّبَ هذه الجملَ على وجه آخر.

3. دواعي إعراب الجملة

ربَّما يكون من نافلة القول إن دواعي أبي حيَّانَ لإعراب الجمل ليست مختلفة أبدًا عن دواعي سابقيه من النحاة، وتتلخص بداعيين هما:

الأول منهما هو الدَّواعي العامليَّة المتمثلة بنظرية العامل ومتطلّباتها كانت الدّاعي الرئيس للقول بإعرابها، لذا كان أبو حيَّانَ لا يتوقف عند مبتدأ إلا ويبيّن خبره، ومن ذلك وقفته عند قوله تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[72] . قال: "و(أولئك) مبتدأ وَ(أَصْحَابُ) خبر عنه، والجملة خبر عن قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا)، وجوّزوا أن يكون (أولئك) بدلاً، وعطف بيان، فيكون (أصحاب النَّار) إذ ذاك خبرًا عن (الذين كفروا)، وفي قوله (أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّار) دلالة على اختصاص مَنْ كَفَرَ وكَذَّبَ بالنَّارِ، فيُفْهَمُ أنَّ مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى هُمْ أَصْحَابُ الجَنَّة، وكان التقسيم يقتضي أن من اتبع الهدى لا خوف ولا

(70) سورة البقرة الآية 161

(71) تفسير البحر المحيط 1: 635 ولذلك نظائر كثيرة. فمن قبيل إشارته إلى جمل لها محل من الإعراب. انظر: 1: 159،173 ،174 ،184 ،204 ،205 ،213 ،215 ،214 ،249،257 ،260 ،271 ،286 ،300 ،316،324 ،347 ،348 ،359 ،372 ،405 ،417 ،420 ،439 ،450 ،456 ،421 ،472 ،502 ،552 ،574 ،607 ،608 ،625 ،642 ،655 ،668 ،2: 25 ،101 ،149 ،150 ،152 ،155 ،220 ،266 ،282 ،306 ،309 ،303 ،317 ،324 ،347 ،376. ومن قبيل إشارته إلى جمل ليس لها محل من الإعراب. انظر: 1: 151 ،173 ،176 ،195 ،196 و 205 ،210 ،222 ،223 ،227 ،228 ،249 ،256 ،259 ،260 ،281 ،316 ،324 ،351 ،391 ،421 ،424 ،428 ،439 ،445 ،451 ،463 ،482 ،500 ،519 ،520 و 530 ،532 ،538 ،571 ،575 ،606 ،636 ،645 ،2: 7 و 56 ،125 ،126 ،127 و 135 ،136 ،148 ،170 ،208 ،226 ،243 ،248 ،288 ،319 ،331 ،342 ،343 ،353 ،370 ،381

(72) سورة البقرة الآية 39

حزن يلحقه، وهو صاحب الجنّة، ومَنْ كَذَبَ يَلْحَقُهُ الخَوْفُ والحَزَنُ، وهو صاحبُ النَّار، فكأنَّهُ حُذِفَ من الجملةِ الأولى شَيْءٌ أُثْبِتَ نَظِيْرُهُ في الجملة الثانية، ومن الثانية شَيْءٌ أُثْبِتَ نَظِيْرُهُ في الجملة الأولى" [73] فأبو حيَّانَ جعل (أولئك) مبتدأً، و(أصحابُ) خبرًا، والجملة خبرٌ للمبتدأ الاسم الموصول (الذين)، وحينما أجاز أن يكون (أولئك) بدلاً من الاسم الموصول، و(أصحاب) خبرًا للاسم الموصول، استغنى عن جملة الخبر، لأنَّ العاملَ قد فُقِدَ، ولأنَّهُ لم يَبْقَ جملةٌ في قوله (أولئك أصحابُ النَّار)

أما الداعي الآخر لإعراب الجمل فهو إقامة المعنى على وجه ما أو ترجيح وجه على آخر، ومن ذلك الوجوه التي عرض لها أبو حيَّانَ ونفاها في قوله تعالى: (ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ). قال: " وأجازوا أن يكون جواب لما محذوفًا لفهم المعنى... قال الزّمخشريّ: وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس الدّال عليه.. انتهى، وقوله لاستطالة الكلام غير مسلَّم؛ لأنَّه لم يستطلِ الكلام، لأنَّه قدَّره (خمدت)، وأيّ استطالة في قوله: فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ خمدت...؟ وقوله (مع أمن الإلباس) وهذا أيضًا غير مسلَّم؛ وأي أمن إلباس[74] في هذا؟ ولا شيء يدلُّ على المحذوف؛ بل الذي يقتضيه ترتيب الكلام وصحته ووضعه مواضعه أن يكون (ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ) هو الجواب، فإذا جعلت غيره الجواب مع قوة ترتّب ذهاب الله بنورهم على الإضاءة، كان ذلك من باب اللغز، إذ تركت شيئًا يبادر إلى الفهم وأضمرت شيئًا يحتاج في تقديره إلى وحي يسفر عنه، إذ لا يدلُّ على حذفه اللفظ مع وجود تركيب (ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ)، ولم يكتف الزّمخشريّ بأن جوّز حذف هذا الجواب حتى ادَّعى أنَّ الحذف أولى، قال: وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ للفظ في أداء المعنى كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيّرين متحسّرين على فوت الضَّوء خائبين بعد الكدح في إحياء النَّار.. انتهى، وهذا الذي ذكره نوع من الخطابة لا طائل تحتها؛ لأنَّه يمكن له ذلك لو لم يكن يلي قوله: فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ، قوله: ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ، وأمَّا ما في كلامه بعد تقدير (خمدتْ) إلى آخره، فهو ممَّا يُحمِّلُ اللفظ ما لا يحتمله، ويُقدِّرُ تقاديرَ وجملاً محذوفة لم يدلَّ عليها الكلامُ، وذلك عادته ... ولما جوَّزوا حذف الجواب تكلَّموا في قوله تعالى: (ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ)[75] فخرَّجوا ذلك على وجهين: أحدهما أن يكون مستأنفًا جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقيل: ذهب الله بنورهم، والثاني أن يكون بدلاً من جملة التمثيل على سبيل البيان، قالهما الزّمخشريّ، وكلا الوجهين مبنيان على أنّ جواب لمّا محذوف، وقد اخترنا غيره، وأنَّه قوله تعالى (ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ)، والوجه الثاني من التَّخريجين اللذين تقدَّم ذكرهما، وهو أن يكون قوله

(73) تفسير البحر المحيط 1: 324

(74) أي: الالتباس واللَّبْس.

(75) سورة البقرة الآية 17 وتمامها (مثلُهم كمثَلِ الَّذي استَوقَدَ نارًا فَلَمَّا أَضَاءتْ ما حولَهُ ذَهبَ اللهُ بِنُورِهِم وتَرَكَهُم فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ)

(ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ) بدلاً من جملة التمثيل على سبيل البيان لا يظهر في صحته لأنَّ جملة التَّمثيل هي قوله (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذي اسْتَوْقَدَ نَارًا) فَجَعَلَهُ (ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ) بدلاً من هذه الجملة على سبيل البيان لا يصحّ لأنَّ البدل لا يكون في الجمل إلا إن كانت الجملة فعليَّة تبدل من جملة فعليَّة، فقد ذكروا جواز ذلك، أمَّا أن تبدل جملة فعليَّة من جملة اسميَّة فلا أعلم أحدًا أجاز ذلك"[76] فأبو حيَّانَ نقل عن الزّمخشريّ قولين في جملة (ذهب الله بنورهم) الأول: على أنها جملة استئنافية، وكأنها جواب لسؤال مقدّر، والآخر: على أنها بدل من جملة التمثيل، وعلى القولين جواب (لما) محذوف، والتقدير عنده: فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ خمدت، على أنّ أبا حيَّانَ يردّ قولي الزّمخشريّ بهذه الجملة، فلا هي استئنافيَّة جواب لسؤال مقدَّر، ولا هي بدل من جملة التمثيل، لأن جملة التمثيل اسمية، وهذه فعلية، والبدل في الجمل لا يكون إلا جملة فعلية تُبدل من جملة فعليَّة ، ولا جواب (لما) محذوف لاستطالة الكلام، وإنما الجواب هو جملة (ذهب الله بنورهم)، فالزّمخشريّ استنادًا إلى الجانب الدّلالي والمعنى في التركيب جعل جملة الجواب محذوفة، فلما حُذِفَت جملة الجواب، وكان أمامه جملة فعلية وقعت ظاهريًا في موقع الجواب، كان لا بدّ من أن يجدَ لها مسمّى يتفق وموقعها، فكانت الجملة عنده استئنافية جوابًا لسؤال مقدّر، أو بدلاً من جملة التمثيل،[77] على أنّ الجانب الدّلالي الذي اتَّكأ عليه الزّمخشريّ، اتَّكأ عليه أبو حيَّانَ في ردّ قول الزّمخشريّ، فرأى أن المعنى يستقيم أكثر بجعل (ذهب الله بنورهم) جوابًا لـ (لما)، إذْ ما من دليل على الحذف.

4. أثر الصّناعة النحوية في توجيه إعراب الجمل

يظهر أثر الصّناعة في إعراب الجمل لدى أبي حيَّانَ من خلال عدة إجراءات تتمثّل في: تعدد الأوجه، وتقدير المحذوف، والترجيح الصناعي، واقتضاء العامل، والبحث عن الرابط، وهذه الإجراءات كلّها من آثار تمسّك النحاة بنظرية العامل.

وقد تكون هذه الإجراءات متلازمة، ويقتضي بعضُها بعضًا، غير أنّ بيانها يحتاج إلى إفرادها كلّاً على حدة، والفصل فيما بينها نظري يتطلّبه واقع الدّراسة.

---

(76) تفسير البحر المحيط 1: 213–214

(77) الحقيقة أنّ أبا حيان أورد قول الزمخشري مجتزءا، وأنّ للزمخشري في جواب (لما) قولين: الأول على أنه مذكور، وهو (ذهب الله بنورهم) والآخر محذوف تقديره: خمدت، فإذا كان الجواب محذوفًا، ففي جملة (ذهب الله بنورهم) وجهان. قال الزمخشري: "فإن قلت أين جواب (لما)؟ قلت: فيه وجهان أحدهما أن جوابه (ذهب الله بنورهم)، والثاني أنه محذوف كما حذف في قوله (فلما ذهبوا به) يوسف 15، وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه وكان الحذف أولى من الإثبات..." الكشاف 1: 110

4.1. تعدد الأوجه

يظهر أثر الصّناعة في إعراب الجمل لدى أبي حيَّانَ من خلال تعدد الوجوه الإعرابية، فلو جاز أنْ تكون الجملة على غير وجه من حيث النحو، فهل سيستوي المعنى بين هذا الوجه وذاك؟ على أنّ أبا حيَّانَ لم يتطرّق إلى المعنى المختلف عند عرضه للأوجه الجائزة، وهذا كله يوحي بأن تعدد الأوجه الإعرابية أثر من آثار الصّناعة النحوية، وقد ساعد على هذا الأمر غياب العلامة الإعرابية، لأن إعراب الجمل إعراب محلي، فالجملة قد تقع عند أبي حيَّانَ خبرًا، وقد تقع حالاً، وقد تكون حالاً من الفاعل، وقد تكون حالاً من المفعول، فالاحتمالات متعددة ، دون أن يتطرّق أبو حيان إلى الفرق دلاليًا بين هذا الوجه وذاك، كما في النص التالي. قال: "(يَعْرِفُونَهُ)[78] جملة في موضع الخبر عن المبتدأ الذي هو (الذين آتيناهم)، وجوّز أن يكون الذين مجرورًا على أنه صفة للظالمين، أو على أنه بدل من الظالمين، أو على أنه بدل من (الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ) في الآية التي قبلها، ومرفوعًا على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين، ومنصوبًا على إضمار (أعني)، وعلى هذه الأعاريب يكون قوله (يَعْرِفُونَهُ) جملة في موضع الحال، إمَّا من المفعول الأول، في (آتيناهم) أو من الثاني الذي هو (الكتاب)؛ لأن في (يَعْرِفُونَهُ) ضميرين يعودان عليهما، والظاهر هو الإعراب الأول لاستقلال الكلام جملة منعقدة من مبتدأ وخبر، ولظاهر انتهاء الكلام عند قوله: (إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ)، والضمير المنصوب في (يعرفونه)، عائد على النبي صلى الله عليه وسلم"[79] فجملة (يعرفونه) في موضع خبر، إذا كان (الذين آتيناهم) مبتدأً، أمّا إذا كان الاسم الموصول بدلا أو صفة أو مفعولا لفعل محذوف، تقديره: أعني، فالجملة في موضع الحال، وصاحب هذه الحال التي وقعت جملة إمّا المفعول الأول في (آتيناهم)، وإمّا المفعول الثاني (الكتاب)، إذًا نحن أمام أوجه مختلف بعضها عن بعض محليًا، فإذا كان الأمر كذلك، ألا يختلف المعنى إذا كانت جملة (يعرفونه) خبرًا وكانت عمدة في الكلام، أو كانت فضلةً وقيدًا لما وقعت حالاً؟ وإذا كانت حالاً من المفعول الأول (الهاء في آتيناهم) وقيدًا له؟ وإذا كانت حالا من (الكتاب) وقيدًا له؟ غير أنّ أبا حيَّانَ لم يتطرق إلى هذه الأوجه من حيث المعنى مما يدّل على أن هذا الاهتمام لا يعدو أن يكون صناعةً، ومثل هذا كثير لدى أبي حيَّانَ .

4.2. تقدير المحذوف

تقدير المحذوف وجه من وجوه الصّناعة النحوية في النحو، وأبو حيَّانَ قدّر محذوفًا في غير موضع، وهذا التقدير ما كان إلا للتوفيق بين أسس نظرية العامل والنصّ، ومن الجمل التي قدّرها أبو حيَّانَ محذوفة،

(78) سورة البقرة الآية 146 وتمامها (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وهُمْ يَعْلَمُونَ)

(79) تفسير البحر المحيط 1: 608 ولذلك نظائر. انظر 1: 159 و173 و174 و417 و421 و2: 306 و317 و376

الجملة المعطوف عليها، ومن ذلك قوله: "(قَالَ بَل لبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ)[80] بل لعطف هذه الجملة على الجملة محذوفة التقدير: قال: ما لبثت هذه المدة، بل لبثت مائة عام"[81] فـ (بل) تفيد الإضراب، وليكون الإضراب منسجما مع ما قبله قدّر أبو حيَّانَ جملة محذوفة عطف عليها (بل لبثت مئة عام).

4.3. الترجيح الصناعي

قد يظنّ المرءُ بدايةً أنَّ الترجيح الصناعي وتعدد الأوجه شيء واحد، غير أن واقع النصوص يبين أنّ بينهما تشابهًا كثيرًا، قد يقع بينهما تلازمٌ أحيانًا، فإذا كان هناك ترجيح صناعي لَزِمَ أن يكون هناك أوجه عدةّ، ولا يلزم العكس، فقد يقع الكلام على أوجه دون أن يكون بينها راجح ومرجوح، وتكون الأوجه مقبولة على السواء.

وأبو حيَّانَ عرض لوجوه إعرابية في كثير من الآيات، رجّح وجهًا على آخر، وردّ بعض الوجوه الإعرابية استنادًا إلى العامل ومقتضياته.. ومن ذلك نفيه أن تكون الجملة المصدرة بـ (لن) حالاً، لأنّ (لن) تفيد نفي المستقبل، لذا فهي لا تدخل على الحال. قال: "(وَلَن تَفْعَلُواْ)[82] جملة اعتراض، فلا موضع لها من الإعراب، وفيها من تأكيد المعنى ما لا يخفى؛ لأنه لما قال: فإن لم تفعلوا، وكان معناه النفي في المستقبل مخرجًا ذلك مخرج الممكن، أخبر أن ذلك لا يقع، وهو إخبار صدق، فكان في ذلك تأكيد أنهم لا يعارضونه، واقتران الفعل بـ (لن) مميز لجملة الاعتراض من جملة الحال؛ لأن جملة الحال لا تدخل عليها (لن)، وكان النفي بـ(لن) في هذه الجملة دون (لا)، وإن كانتا أختين في نفي المستقبل، لأن في (لن) توكيدًا وتشديدًا، تقول لصاحبك: لا أقيم غدًا، فإنْ أُنْكِرَ عليك قلت: لن أقيم غدًا" [83] فجملة (لن تفعلوا) جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، لأنها مصدرة بـ (لن)، وتصديرها بـ(لن) مميز لها من الجملة الحاليَّة.

4.4. البحث عن العامل

مما يظهر فيه البحث عن العامل عرضُ أبو حيَّانَ لأقوال النُّحاة في (ما التعجبية) في النص التالي، إذ قال: "(فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّار)[84] اختلف في (ما) فالأظهر أنها تعجبية، وهو قول الجمهور من المفسرين، وقد جاء (قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)[85] (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ)،[86] وأجمع النحويون على أن ما التعجبية في

(80) سورة البقرة الآية 259

(81) تفسير البحر المحيط 2: 303 ولذلك نظيران. انظر: 1: 607 و2: 25

(82) سورة البقرة الآية 24 وتمامها (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)

(83) تفسير البحر المحيط 1: 249 ولذلك نظائر. انظر: 1: 286 و607 و608 و2: 25

(84) سورة البقرة الآية 175

(85) سورة عبس الآية 17

(86) سورة مريم الآية 38

موضع رفع بالابتداء، واختلفوا أهي نكرة تامة، والفعل بعدها في موضع الخبر؟ أو استفهامية صحبها معنى التعجب والفعل بعدها في موضع الخبر؟ أو موصولة والفعل بعدها صلة؟ والخبر محذوف أو موصوفة والفعل بعدها صفة؟ والخبر محذوف"[87] فالنص السَّابق الذي جمع فيه أبو حَيَّانَ الأقوال في (ما) يضع القارئ أمام احتمالات مختلفة لإعراب الجملة تَبَعًا لاختلاف القول في إعراب (ما)، فجملة (أصبرهم) جملة فعلية في محل رفع خبر إذا كانت (ما) تعجبية أو استفهامية صحبها معنى التعجب، والجملة صلة إذا كانت (ما) موصولة والخبر محذوف، والجملة صفة إذا كانت (ما) موصوفة والخبر محذوف.

وأبو حَيَّانَ فيما أجاز من أوجه في الجملة السَّابقة أجازه بناءً على اختلاف العامل، ومثل ذلك قوله في جملة (ينفعهم). قال: "(وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ)[88] ... والظاهر أن (وَلاَ يَنفَعُهُمْ) معطوف على يَضُرُّهُمْ وكلا الفعلين صلة لـ(ما) فلا يكون لها موضع من الإعراب، وجوَّز بعضهم أن يكون (لا ينفعهم) على إضمار هو، أي وهو لا ينفعهم فيكون في موضع رفع وتكون الواو للحال فتكون جملة حاليَّة وهذا ضعيف"[89] فجملة (ينفعهم) جملة معطوفة على جملة الصِّلة (يضرهم) بالواو، وجوّز بعضهم أن تكون خبرية لمبتدأ محذوف تقديره: هو، وقد ضعَّف أبو حَيَّانَ هذا الوجه؛ لأن العامل في هذه الجملة محذوف بناء على هذا الوجه.

ومن ترجيحات أبي حَيَّانَ الصناعية، ترجيحه أن تكون الجملة في قوله تعالى (إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ)[90] جواب قسم على أن تكون جواب شرط. قال: "(إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) قد ذكرنا أن هذه الجملة هي جواب القسم المحذوف الذي أذنت بتقديره اللام في (لئن)، ودل على جواب الشرط، لا يقال: إنه يكون جوابًا لهما، لامتناع ذلك لفظًا ومعنى، أما المعنى فلأن الاقتضاء مختلف، فاقتضاء القسم على أنه لا عمل له فيه؛ لأن القسم إنما جيء به توكيدًا للجملة المقسم عليها، وما جاء على سبيل التوكيد لا يناسب أن يكون عاملاً، واقتضاء الشرط على أنه عامل فيه، فتكون الجملة في موضع جزم، وعمل الشرط لقوة طلبه له، وأما اللفظ فإن هذه الجملة إذا كانت جواب قسم لم يحتج إلى مزيد رابط، وإذا كانت جواب شرط احتاجت لمزيد رابط، وهو الفاء، ولا يجوز أن تكون خالية من الفاء موجودة فيها الفاء، فلذلك امتنع أن يقال: إن الجملة جواب للقسم والشرط معًا "[91] فأبو حَيَّانَ في نفيه أن تكون الجملة جوابا للشرط والقسم معًا يمنع

(87) تفسير البحر المحيط 1: 668 ولذلك نظائر. انظر: 1: 204 و 608 و2: 101 و309

(88) سورة البقرة الآية 102

(89) تفسير البحر المحيط 1: 502

(90) سورة البقرة الآية 145 وتمامها (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)

(91) تفسير البحر المحيط 1: 607-608

ذلك من جهتي اللفظ والمعنى، فأما الامتناع من حيث المعنى فلاختلاف الاقتضاء، فاقتضاء القسم على أنه لا عمل له فيها، واقتضاء الشرط على أنّه عامل فيها، وبالتالي لا يمكن أن تكون الجملة ذات محل من حيث الشرط، وليست بذات محل بالنسبة إلى القسم وهي جواب في الوقت نفسه، وهي بالتالي إما جوابٌ للقسم وإما جوابٌ للشرط، وأما امتناعها من حيث اللفظ فلأن جملة جواب القسم لا تقتضي الربط بالفاء، وجواب الشرط يقتضي الربط بالفاء، ويستحيل أن تكون الفاء موجودة وغير موجود في آن، ومن هنا يقرر امتناع كون الجملة جوابا للشرط والقسم معًا.

على أن أبا حيَّانَ في كل ما قدّمه لم يتجاوز الصّناعة النحوية، وفلسفة الصّناعة، وكأنه يريد أن يقول: لا يمكن للشيء أن يكون ولا يكون في آن واحد، ولا يجوز أن تكون الجملة معمولة لعاملين مختلفين.

4.5. البحث عن الرابط

يتضح أثر الصّناعة لدى أبي حيَّانَ في إعرابه الجمل في بحثه عن الرابط وتقديره إن حذِف، وتبَعًا لتقدير الرابط يكون توجيه الإعراب للجملة.

ومن ذلك تقديره للرابط المحذوف في جملة الصفة. قال: "بل هم مجمعون على أن الجملة صفة ليوم، ويلزم من ذلك حذف الرابط أيضًا من الجمل المعطوفة على (لا تَجْزِي)[92] أي: ولا يُقبَل منها شفاعةٌ فيه، ولا يُؤخَذُ منها عدلٌ فيه، ولا هم يُنصَرون فيه، وعلى ذلك التخريج لا يحتاج إلى إضمار هذه الرّوابط" [93] فأبو حيَّانَ في النص السَّابق قدّر الرابط المحذوف في جملة الصفة، وفي الجمل المعطوفة عليها، وهذا كلُّه ضرْبٌ من الصّناعة، لتكون الجملة صفة.

ومن ذلك رفضه عود الضمير في جملة جواب الشرط إلى غير اسم الشرط .كما ورد لدى بعض المعربين . وبناءً عليه رفض إعرابَ أغلبِ التركيبِ. قال: "(وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ)[94] هذه جملة شرطية... وقد خبط بعضُ المعربين فقال: إن (من خير) متعلق بـ تفعلوا، وهو في موضع نصب نعتًا لمصدر محذوف تقديره: وما تفعلوه فعلاً من خير، (يعلمه الله) جزم بجواب الشرط، والهاء في (يعلمه الله) يعود إلى خير، انتهى قوله. ولولا أنه مسطر في التفسير لما حكيته، وجهة التخبيط فيه أنه زعم أن من خير متعلق بـ تفعلوا، ثم قال: وهو في موضع نصب نعتًا لمصدر، فإذا كان كذلك كان العامل فيه محذوفًا، فيناقض هذا القول كون (من) يتعلق بـ تفعلوا؛ لأن (من) حيث تعلقت بـ (تفعلوا) كان العامل غير محذوف، وقوله: والهاء

(92) سورة البقرة الآية 48 وتمامها (واتَّقُوا يومًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ولا يُقْبَلُ مِنْها شَفَاعَةٌ ولا يُؤْخذُ مِنْها عَدْلٌ ولا هُم يُنْصَرونَ)

(93) تفسير البحر المحيط 1: 348 ولذلك نظير. انظر: 1: 421

(94) سورة البقرة الآية 197 وتمامها (ولَئِنْ أَتَيْتَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُم وما بَعْضُهُم بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمينَ)

تعود إلى (خير) خطأ فاحش؛ لأنّ الجملة جواب لجملة شرطية بالاسم، فالهاء عائدة على الاسم أعني اسم الشرط، وإذا جعلتها عائدة على الخير عري الجواب عن ضمير يعود على اسم الشرط، وذلك لا يجوز، لو قلت: مَنْ يَأْتِنِيْ يَخْرُجْ خالِدٌ، ولا يقدر ضميرًا يعود على اسم الشرط لم يجز، بخلاف الشرط إذا كان بالحرف، فإنه يجوز خلوّ الجملة من الضمير، نحو: إنْ تأتني يخرجْ خالد" [95] فخلاصة الإعراب الذي أوردَه أبو حيَّانَ لبعض المعربين: أن (من خير) جار ومجرور متعلقان بـ (تفعلوا)، وأنهما في محل نصب صفة لمصدر محذوف، و(يعلمْه) مجزومٌ لأنَّه جوابُ الشرط، والهاءُ في (يعلمه) تعود إلى (خير)، غير أنّ أبا حيَّانَ وقف عند عود الضمير، وخطّأه، وبيَّن أن الضمير يجب أن يعود إلى اسم الشرط، ليستقيم أن يكون الجواب له، وفقدان الرابط بين الجواب والاسم يمنع كون الجملة جوابا له.

ويبدو أن الذي ذكره أبو حيَّانَ منطقيّ جدًا، وتوجبه الصّناعة، أما من حيث المعنى فالمقصود باسم الشرط هو فعل الخير، غير أن الصّناعة النحوية تحتّم أن يعود الضمير من جملة الجواب إلى اسم الشرط.

5. وسائل ترجيح المعنى في التوجيه الإعرابي

كان لترجيح المعنى لدى أبي حيَّانَ وسائل.. نجملها فيما يلي: تحليل العوامل، وتجريد العوامل، وترجيح معنى.

5.1. تحليل العوامل

غالبا ما لجأ أبو حيَّانَ في غير موقف إعرابي إلى تحليل العوامل لردّ وجهٍ وترجيح آخر، وربَّما توّج ذلك بتوجيه المعنى إلى هذا الإعراب أو ذاك، ومن ذلك ردّه أن يكون الاسم الموصول فيه معنى الشرط في النص التالي. قال: " وعطف (فما ربحت) بالفاء يدل على تعقب نفي الربح للشراء، وأنه بنفس ما وقع الشراء تحقق عدم الربح، وزعم بعض الناس أن الفاء في قوله: (فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ)[96] دخلت لما في الكلام من معنى الجزاء، والتقدير: إنْ اشتروا،[97] والذين إذا كان في صلة فعل، كان في معنى الشرط، ومثله (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوالَهُم) وقع الجواب بالفاء في قوله (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ)[98] وكذلك: الذي يدخل الدّار فله درهم، انتهى.

---

(95) تفسير البحر المحيط 2: 101

(96) سورة البقرة الآية 16 وتمامها (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَما رَبِحَت تِّجارَتُهم وما كانُوا مهْتَدِين)

(97) وردت في النص (والتقديران اشتروا)، ولعلَّه تصحيف، فالمعنى يستقم أكثر على(والتقدير: إن اشتروا)، على أنني قابلت طبعتين للبحر المحيط، والتصحيف ـ كما أظن ـ نفسه، فربَّما لا يكون تصحيفًا، لكن النص لم يستقم عندي إلا كما أثبته. انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان، بعناية صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر- بيروت2005م 1: 118 وتفسير البحر المحيط لأبي حيان، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1: دار الكتب العلَّمية – بيروت1993م 1: 205

(98) سورة البقرة الآية 274 وتمامها (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُم بِاللَّيْلِ والنَّهارِ سِرًّا وعَلانِيَةً فَلَهُم أَجْرُهُم عِنْدَ رَبِّهِم ولا خَوفٌ عَلَيْهِم ولا هُم يَحْزَنُونَ)

وهذا خطأ؛ لأنَّ (الذين) ليس مبتدأً، فيُشبَّه بالشرط الذي يكون مبتدأ، فتدخل الفاء في خبره، كما تدخل في جواب الشرط، وأمَّا (الذين) خبر عن أولئك، وقوله: (فما ربحت) ليس بخبر، فتدخله الفاء، وإنما هي جملة فعلية معطوفة على صلة (الذين)، فهي صلة؛ لأنَّ المعطوف على الصِّلة صلةٌ، وقوله: وقع الجواب بالفاء في قوله (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ) خطأ، لأنَّه ليس بجوابٍ، إنما الجملة خبر المبتدأ الذي هو (الذين ينفقون)،[99] ولا يجوز[100] أن يكون (أولئك) مبتدأ، و(الذين اشتروا) مبتدأ، و(فما ربحت تجارتهم) خبر عن الذين، والذين وخبره خبر عن أولئك؛ لعدم الرابط في هذه الجملة الواقعة خبرًا لأولئك؛ ولتحقق مضي الصِّلة، وإذا كانت الصِّلة ماضية معنى لم تدخل الفاء في خبر موصولها المبتدأ، ولا يجوز أن يكون أولئك مبتدأ، والذين بدل منه، وفما ربحت خبر؛ لأن الخبر إنما تدخله الفاء لعموم الموصول، ولإبدال الذين من أولئك صار الذين مخصوصًا، لأنه بدل من مخصوص وخبر المخصوص لا تدخله الفاء، ولأن معنى الآية ليس إلا على كون (أولئك) مبتدأ، و(الذين) خبرًا عنه"[101] فأبو حيَّانَ حلّل العوامل التي تسلَّطت على جملة (فما ربحت تجارتهم)، لينفي أن تكون جوابًا، وأنْ تكونَ الفاء رابطة له، من قِبل أنَّ (أولئك) مبتدأ، ولا يستقيم أن تكون (الذين) مبتدأ ثانيًا، و(فما ربحت تجارتهم) خبره، والجملة من المبتدأ والخبر خبرُ لأولئك، لأنَّ الجملة لا تحتوي على رابط يربطها بالمبتدأ، ولا يستقيم أن يكون الذين بدلاً من أولئك، والجملة خبر أولئك... إلخ، ثم تابع أبو حيَّانَ في نفي تسلّط العوامل على هذه الجملة؛ ليرجح نهايةً ما أثبتَه بدايةً أنَّ معنى الآية لا يكون إلا على أن (أولئك) مبتدأ، و(الذين) خبره، وبهذا يصل إلى ما قدّم بداية أن الجملةَ معطوفةٌ بالفاء.

ومن ذلك دفاع أبي حيَّانَ عن وجه الحال في قوله تعالى (يُخَادِعُونَ الله) بعد أن ردّه أبو البقاء. قال أبو حيَّانَ : "وقراءة الجمهور: (يخادعون الله)، مضارع (خادع). وقرأ عبد الله وأبو حياة: (يَخْدَعُونَ اللهَ) مضارع (خَدَعَ) المجرَّد، ويحتمل قوله: (يُخَادِعُونَ الله)[102] أن يكون مستأنفًا، كأنَّ قائلاً يقول: لِمَ يتظاهرون بالإيمان وليسوا بمؤمنين في الحقيقة؟ فقيل: يُخادعون، ويُحتمل أن يكون بدلاً من قوله: يقول آمنَّا، ويكون ذلك بيانًا، لأن قولهم: آمنَّا، وليسوا بمؤمنين في الحقيقة مخادعة، فيكون بدلَ فعلٍ من فعل، لأنَّه في معناه، وعلى كلا الوجهين لا موضع للجملة من الإعراب. ويُحتمل أن تكون الجملة في موضع الحال، وذو الحال الضمير المستكن في (يقول)،[103] أي: ومن الناس من يقول: آمنَّا، مخادعين الله والذين آمنوا. وجوّز أبو البقاء أن

(99) في المتن (خبر المبتدأ الذي هو (ينفقون)) وهذا تصحيف، فالفعل ليس مبتدأ، وإنما المبتدأ الموصول (الذين) الذي وقع (ينفقون) صلة له. والصواب كما يبدو لي ما أثبتُه في المتن. والله أعلم.

(100) في المتن (ولا يوز) وهذا تصحيف طباعي.

(101) تفسير البحر المحيط 1: 205

(102) سورة البقرة الآية 9 وتمامها (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)

(103) سورة البقرة الآية 8 وتمامها (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)

يكون حالاً، والعامل فيها اسم الفاعل الذي هو بـ مؤمنين، وذو الحال الضمير المستكنّ في اسم الفاعل، وهذا إعراب خطأ، وذلك أن (ما) دخلت على الجملة فَنَفَت نسبة الإيمان إليهم فإذا قيّدت تلك النسبة بحالٍ تسلَّطَ النَّفيُ على تلك الحال، وهو القيد فنفته، ولذلك طريقان في لسان العرب، أحدهما: وهو الأكثر أن ينتفي ذلك القيد فقط؛ ويكون إذ ذاك قد ثبت العامل في ذلك القيد، فإذا قلت: ما زيدٌ أقبل ضاحكًا، فمفهومه نفي الضحك، ويكون قد أقبل غير ضاحك، وليس معنى الآية على هذا، إذ لا ينفي عنهم الخداع فقط ويثبت لهم الإيمان بغير خداع، بل المعنى نفي الإيمان عنهم مطلقًا، والطريق الثاني: وهو الأقل أن ينتفي القيد وينتفي العامل فيه، فكأنه قال في المثال السَّابق: لم يقبل زيد ولم يضحك، أي: لم يكن منه إقبال ولا ضحك، وليس معنى الآية على هذا، إذ ليس المراد نفي الإيمان عنهم ونفي الخداع، والعجب من أبي البقاء كيف تنبَّه لشيءٍ من هذا؟ فمنع أن يكون (يخادعون) في موضع الصفة، فقال: ولا يجوز أن يكون في موضع جر على الصفة لـ مؤمنين؛ لأن ذلك يوجب نفي خداعهم، والمعنى على إثبات الخداع، انتهى كلامه، فأجاز ذلك في الحال، ولم يجز ذلك في الصفة، وهما سواء، ولا فرق بين الحال والصفة في ذلك، بل كل منهما قيد يتسلَّط النّفي عليه، والله تعالى هو العالم الذي لا يخفى عليه شيء" (104)

5.2. تجريد العوامل

ذهب أبو حَيَّانَ في توجيه إعرابه للجمل أحيانًا إلى تجريد الجملة عن العوامل، فينحو بها نحوًا معينًا يخدم له المعنى، لأنّ هذا التجريد يكسبها استقلالية، ويجعلها كلامًا تامًا، فيصير لها دلالة زائدة، ومن ذلك النص التالي. قال: "(وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ)(105) والأَوْلَى أن تكون هذه الجملة مستأنفَةً كما اخترنا في قوله: (كُلَّمَا رُزِقُواْ) لأنَّ جعلها استئنافًا يكون في ذلك اعتناء بالجملة، إذ سيقت كلامًا تامًا لا يحتاج إلى ارتباط صناعي، ومَنْ جعلها صفة فقد سَلَكَ بها مسلك غيرِ ما هو أصلٌ للحمل، وارتفاع (أزواجٌ) على الابتداء، وكونه لم يشرك في العامل في (جناتٍ)، يدلّ على ما قلناه من الاستئناف أيضًا، وخبر (أزواج) في المجرور الذي هو لهم، و(فيها) متعلّق بالعامل في (لهم) الذي هو خبر" (106) فأبو حَيَّانَ جرّد الجملة عن العوامل السَّابقة في النص لتكون كلاما تامًا، ثم جعلها استئنافية، وحجته في ذلك أن جعلها استئنافا اعتناء بالجملة.

(104) تفسير البحر المحيط 1: 184 ولذلك نظائر. انظر: 1: 184 و271 و316 و574 و2: 152 و324 و347

(105) سورة البقرة الآية 25 وتمامها (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

(106) تفسير البحر المحيط 1: 260

5.3. ترجيح معنى

غالبًا ما يبدو ترجيح المعنى أسًّا من أسس إعراب الجمل لدى أبي حيَّانَ ، فقد يردّ وجهًا ويرجّح آخر استنادا إلى المعنى، ومن ذلك دفاعه عن وجه الحال في قوله تعالى (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)[107] بعد أن فرّ منه مكيّ بن أبي طالب، لأنَّه تخيَّل أنَّه يلزم من القيد في الأمر أن يكون مأمورًا به أو كالمأمور. قال أبو حيَّانَ : "وهذه الجملة في موضع الحال، أي: اهبطوا متعادين، والعامل فيها اهبطوا، فصاحب الحال الضمير في اهبطوا، ولم يحتج إلى الواو لإغناء الرابط عنها... وأجاز مكيّ بن أبي طالب أن تكون الجملة مستأنفة، إخبارًا من الله تعالى بأن بعضهم لبعض عدوّ، فلا يكون في موضع الحال، وكأنه فرَّ من الحال، لأنه تخيَّل أنه يلزم من القيد في الأمر أن يكون مأمورًا به أو كالمأمور، ألا ترى أنك إذا قلت: قم ضاحكًا، كان المعنى الأمر بإيقاع القيام مصحوبًا بالحال، فيكون مأمورًا بها أو كالمأمور؛ لأنّك لم تسوّغ له القيام إلا في حال الضحك، وما يتوصل إلى فعل المأمور إلا به مأمور، والله تعالى لا يأمر بالعداوة، ولا يلزم ما يتخيل من ذلك، لأن الفعل إذا كان مأمورًا به من يسند إليه في حال من أحواله لم تكن تلك الحال مأمورًا بها؛ لأن النسبة الحاليَّة هي لنسبة تقييدية، لا نسبة إسنادية، فلو كانت مأمورًا بها إذا كان العامل فيها أمرًا فلا يسوغ ذلك هنا؛ لأنَّ الفعل المأمور به إذا كان لا يقع في الوجود إلا بذلك القيد ولا يمكن خلافه لم يكن ذلك القيد مأمورًا به؛ لأنه ليس داخلاً في حيز التكليف، وهذه الحال من هذا النوع، قل يلزم أن يكون الله أمر بها، وهذه الحال من الأحوال اللازمة"[108] فأبو حيَّانَ في النص السَّابق بيّن أن الجملة حاليَّة، وأنَّ صاحب الحال هو الضمير المتصل بالفعل (اهبطوا)، وأنَّ العامل في الحال هو الفعل، أمَّا مكيّ بن أبي طالب فجعل الجملة استئنافًا فرارًا من أن يكون الأمر واقعًا على القيد (الحال)، فيلزم من ذلك أن الله يأمرهم بالعداوة، على أن أبا حيَّانَ بيَّن أن المعنى ليس على إيقاع الفعل مصحوبًا بالحال، فيكون مأمورًا بها أو كالمأمور، لأن النسبة الحاليَّة نسبة تقييدية لا نسبة إسنادية.

ومن ذلك قول أبي حيَّانَ بوجهين للجملة وإسهابه في بيان المعنى في أحد الوجهين، فكأنّه يرجّحه على الآخر مستندًا إلى المعنى. قال أبو حيَّانَ : "(وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا)... ويحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة مُنبِئة عن نوع من قبائح اليهود، الذين كانوا في زمان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وكاشفة عما أكنوه من النفاق، ويحتمل أن تكون جملة حاليَّة معطوفة على قوله: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) الآية، أي: كيف يطمع في إيمانهم؟ وقد كان من أسلافهم من يحرّف كلام الله، وهؤلاء سالكو طريقتهم، وهم في

(107) سورة البقرة الآية 36 وتمامها (فَأَزَلَّهُما الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهما مِمَّا كانا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلَى حِينٍ)

(108) تفسير البحر المحيط 1: 316 ولذلك نظائر. انظر:1: 215 و213 و372 و439 و456 و642 و2: 149 و150

أنفسهم منافقون يُظهرون موافقتكم إذا لقوكم، وأنّهم منكم، وهم في الباطن كفارٌ، فمن جمع بين هاتين الحالتين، من اقتدائهم بأسلافهم الضلاّل، ومنافقتهم للمؤمنين، لا يُطمع في إيمانهم."[109] فأبو حيَّانَ عرض في النص السَّابق للجملة وجهين: أحدهما مستأنفة، والآخر معطوفة على جملة حاليَّة، ولم يظهر له ترجيح صريح في النص لأحد الوجهين على الآخر، غير أنَّ اهتمامه الزائد نسبيًا في بيان المعنى في الوجه الثاني يُشعر القارئ بأنه الراجح عنده.

6. **النتائج**

عرض هذا البحثُ لمعالم اهتمام النحاة بإعراب الجمل، وأثر الإعراب في المعنى، وتوصلَ البحث إلى أنّ الفرّاء أول من استخدم مصطلح الجملة ونصّ على محلية الجملة ـ خلافًا لما هو سائدٌ من أنّ المبرد هو أول من استخدم مصطلح الجملة ـ وكان الأنموذج الذي أجرى الباحثُ عليه الدراسة أبا حيَّان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط، واقتصر في تفسيره على سورة البقرة التي شغلتْ مجلدًا ونصف المجلد الثاني، أي قرابة ألف صفحة، ووقف على أمثلة كثيرة تثبتُ اهتمام النحاة بهذا الجانب من النحو، فإعراب الجمل من الأهميَّة بمكانٍ أنه قد يتوقف عليه فهم الآية الكريمة، وقد يختلف فهْمُ القارئِ لها باختلاف إعراب الجمل فيها، وقد تتعدَّد الأوجه الإعرابية في الآية الواحدة ويتعدّد المعنى بتعدُّد الأوجه.

ووقفَ البحثُ على دواعي اهتمامهم بإعراب الجمل، وخلص إلى أنها داوعٍ صناعية تطلّبتها أصول نظرية العامل، ودواعٍ دلاليَّة تطلّبتها استقامة المعنى.

وقد تجلّى أثر الصناعة النحوية في إعراب الجمل من خلال المظاهر التالية:

1. تعدد الأوجه النحوية
2. تقدير المحذوف
3. الترجيح الصناعي
4. البحث عن العامل
5. البحث عن الرابط

والحقيقة أنَّ المظاهر السابقة ما هي إلا مظاهر من الصناعة النحوية، فإذا تعدّدت الأوجه النحوية؛ هل يستوي المعنى بين الأوجه كلها؟؟ وكذلك تقدير المحذوف، والبحث عن العامل، والبحث عن الرابط، فهذا كله من الصناعة النحوية التي يُعدّ أساسُها الرئيسُ نظريةَ العاملِ.

وتجلَّى عند الباحث أثر المعنى وحرص أبي حيّانَ على إقامته في مقام يرتضيه من خلال المظاهر التالية:

(109) تفسير البحر المحيط 1: 439-440

1. تحليل العوامل
2. تجريد العوامل
3. ترجيح معنى

والحقيقة أيضا أنَّ أبا حيّان ـ فيما وقف الباحث عليه من نصوص ـ كان يتوسّل بأصول نظرية العامل في تحليله العوامل وتجريدها تارة أخرى ليذهب بالمعنى إلى وجهة يرتضيها أكثر من غيرها.

من النتائج أيضًا: أن الجانب اللغويَّ هو أبرزُ ما في هذا التفسير، إذ إنّ المؤلّف أكثر من ذكر مسائل النحو، وتوسّعه فيها غاية التوسع، وذكر مسائل الخلاف فيها.

وبعد:

فهذا عملي وهو جهد المقلّ، فإنْ وُفِّقتُ فهو توفيق الله، وإنْ كانتِ الأخرى فمن نفسي وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الأصول في النحو، أبو بكر ابن السراج، تحقيق عبدالحسين الفتلي، ط1: بيروت 1985م
3. إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، ط5: دار القلم العربي، حلب 1989م
4. الإيضاح العضدي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي، تحقيق حسن شاذلي، ط1: دار التأليف، مصر1969م.
5. البحر المحيط لأبي حيان، بعناية صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر- بيروت2005م
6. البحر المحيط لأبي حيان، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1: دار الكتب العلمية، بيروت1993م
7. تسليط العامل وأثره في الدرس النحوي، السيد أحمد علي محمد، ط1: دار الثقافة العربية، القاهرة 1991م
8. تطور الآراء النحوية عند ابن هشام الأنصاري، حسن موسى الشاعر، ط1: عمان دار البشير 1994م
9. التعريفات، علي الجرجاني تح : إبراهيم الأبياري، ط1: دار الكتاب العربي – بيروت1405هـ
10. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (370هـ)، ط: الدار المصرية للكتاب 1964م
11. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ط10: المكتبة العصرية بيروت ـ صيدا 1968م

12. الجملة الشرطية عند النحاة العرب، إبراهيم شمسان، ط:1 مصر1401 هـ 1981م
13. الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، ط: عالم الكتب، بيروت
14. دراسات في علم النحو العام والنحو العربي، خراكوفسكي، تر: جعفر دك الباب، ط1: مؤسسة الوحدة 1982م
15. رسالة في إعراب الجمل، الحسن بن قاسم المراديّ، تح: سهير محمد خليفة، ط1: 1987م
16. شرح التسهيل لابن مالك، تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط: هجر.
17. شرح ديوان جرير: محمد إسماعيل الصاوي، ط: دار الأندلس– بيروت
18. شرح الرضي على الكافية، الرضي الأستراباذي، تح: يوسف حسن عمر، ط: جامعة قاريونس، بنغازي1996م
19. العلامة الإعرابية، محمد حماسة عبد اللطيف، ط: دار غريب، القاهرة 2001م
20. العوامل المئة النحوية في أصول علم العربية: عبد القاهر الجرجاني، شرح الأزهري، تح: البدراوي زهران، ط2: دار المعارف.
21. في التطبيق النحوي والصرفي، عبده الراجحي، ط: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1992م
22. في النحو العربي: نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ط1: الكتبة العصرية، بيروت 1964م
23. الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبدالسلام هارون، ط1: دار الجيل بيروت.
24. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت
25. لسان العرب، ابن منظور ط: دار صادر بيروت.
26. اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، ط: دار المعارف، مصر1966م
27. مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود أحمد نحلة، ط:1 بيروت 1988م
28. معالم التفكير في الجملة عند سيبويه، د. محمد عبدو فلفل، ط1: دار العصماء، دمشق2009م
29. معاني القرآن، الفراء، ط3: بيروت عالم الكتب1983م
30. مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تح: مازن المبارك وعلي حمد الله، ط: دار الفكر، بيروت
31. المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، تح: علي بو ملحم ط1: مكتبة الهلال، بيروت1993
32. المقتضب، المبرد تح: محمد عبد الخالق عظيمة، ط: عالم الكتب، بيروت
33. مقومات الجملة العربية، علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م
34. من أسرار العربية، إبراهيم أنيس، ط: مطبعة البيان العربية، القاهرة. ص131

35. مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ط: مطبعة الرسالة، القاهرة 1955م
36. مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، عطا محمد موسى، ط1 عمان 2002م
37. النحو الوافي، عباس حسن، ط:3 دار المعارف 1966م
38. همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، ط1: دار الكتب العلمية بيروت 1998م.

الأطروحات

- تطوّر تفكير النحاة في الجملة من سيبويه 180هـ إلى ابن هشام 761هـ، عبدالحليم محمد عبدالله، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة البعث، حمص2011م
- الجملة والمحل الإعرابي، لنعمية جبيلي، رسالة دبلوم، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط 1995 – 1996م

الدوريات

- إعراب الجمل عند المبرد285هـ الجمل ذوات المحل نموذجا، عبدالحليم عبدالله، في مجلة بحوث جامعة البعث 2011م
- تطور تفكير النحاة في الجملة الخبرية، عبدالحليم عبدالله، İlahiyat Fakültesi Dergisi Tokat 2014|1
- الجملة بين الإسناد والاستقلال الدلالي، عبدالحليم عبدالله، منشورة في مجمع اللغة العربية بدمشق،2013م
- الخلاف في أقسام الجملة بين النحاة واللغويين العرب، عبدالحليم عبدالله، İlahiyat Fakültesi Dergisi Tokat 2014|1

معالم الجملة النحوية عند ابن السراج، عبدالحليم عبدالله، منشورة في مجمع اللغة العربية بدمشق، 2011م